دلالة الخشوع في سياق البيان القرآني

أ. م. د. محمد ياس خضر الدوري
(اللغة والدلالة)
أ. م. د. نافع علوان بهلول الجبوري
(النحو)
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

درس علماء اللغة والتفسير ألفاظا متعددة بمنظور دلالي عبر سياقاتها المتعددة واستعمالاتها المختلفة، واقتداء بهذه الدراسات سنتخذ من لفظ الخشوع أساسا لدراستنا لما له من رابط حسي وقلبي بأفعالنا الدينية، بل إنّ من العبادات من يلزم فيها ظهوره ولاسيما الصلاة لقوله (صلى الله عليه وسلم) لرجل: ((وهو يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ في الصَّلاَة فقال لو خَشَعَ قَلْبُ هذا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ))[1].

وقد جعلنا من الاستعمال القرآني الأساس والمنطلق للبحث في دلالاتها المتعددة، واستعمالاتها(الفعلية والاسمية)، عبر سياقاتها متخذين من الحقول الدلالية أساسا لهذه الدراسة.

ولكي تتخذ الدراسة اتجاها صحيحا وجدنا أهمية الوقوف على كل مايتعلق بهذا اللفظ من جانبه البياني، ثم العلاقة بين الألفاظ المقاربة لها بالدلالة سواء أكانت ضمن الاقتران اللغوي أم الواردة في البيان القرآني معها من دون إهمال لعلاقة هذا اللفظ بغيره مبينين المعاني اللغوية والاصطلاحية له، واقفين على كل آية .

وقد لحظنا أنّ السياق القرآني لم يقتصر على إقران الخشوع بالنفس البشرية وحدها بل اتسعت دلالته لتشمل الجمادات والمحسوسات، فجاءت الدراسة شاملة كلَّ هذه الدلالات، فكشف عن دلالة خشوع الأرض، والجبال، ثم اتجه للكشف عن مفهومه وعلاقته

بالنفس سواء أكانت مطلقة أم عامة ؛ إذ شمل (خشوع الأنبياء، والناس(المؤمنين والمؤمنات)، وأهل الكتاب، ثم بين معالم الخشوع في النفس(البدن) ؛ إذ محله الأصلي القلب، ثم يظهر أثره في(السمع والبصر) ؛لأنهما وسيلتا التّلقي والتأثير، ويتبدّى أثره في سائر الأعضاء والجوارح(على مستويات متباينة) في الدنيا والآخرة ويوم الحساب ويوم الحشر.

وإنما اخترنا لفظ الخشوع من بين الألفاظ لارتباطه بحقيقة الإيمان ومنزلته ؛إذ يروى عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وسلم): ((أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا يرى فيه خاشعا))[٢].

وقد جعلنا البحث في ثلاثة مستويات تكون رأساً لمباحثه وهي: مستوى الأبنية والاشتقاق، وأما المستوى الثاني فمستوى الألفاظ، ويشمل الحقول الدلالية للخشوع، وفروق الألفاظ التي تقاربه في الدلالة، وكان الثالث في مستوى الأغراض المجازية والصور البيانية، ويتقدمها تمهيد لاستقراء الخشوع في النص القرآني .

التمهيد

استقراء سياق ورود لفظة الخشوع

ورد لفظ (الخشوع)في السياق القرآني فعليا مرتين فقط، ماضيا في سورة طه، قال تعالى: ﭽ ھ ھ ھ ھ ے ۓ ﭼ [طه/١٠٨]، ومضارعا منصوبا بأنْ الناصبة، قال تعالى: ﭽ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﭼ الحديد/من الآية ١٦، أما في بقية المواضع فقد جاء مشتقا غالبه(اسم فاعل) في ثلاث عشرة مرة: جمعا في سبع مرات في البقرة/٤٥، وآل عمران/١٩٩، والأنبياء/٩٠، والمؤمنون/٢، والأحزاب/٣٥، والشورى/٤٥، والقمر/٧، ومرة مفردا مذكرا من سورة الحشر/٢١، وخمس مرات مفردا مؤنثا في فصلت/٣٩، والقلم/٤٣، والمعارج/٤٤، والنازعات/٩، والغاشية/٢، وختاما ورد اللفظ مصدرا مرة واحدة في الإسراء/١٠٩.

وشمل الخشوع القلب، فالجوارح، (الأصوات، والأبصار، والوجوه) ثم ذات الإنسان عموماً(نبيا، أو إنسانا، أو ملة) ثم ما يتعلق بهم من الجوامد (الأرض، والجبال).

وتحدث القرآن عن خشوع الأبصار في ثلاثة مواضع، القمر/٧، والمعارج/٤٤، النازعات/٩، فجاء بصيغة الجمع في قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ چ [القمر: ٧]، ببيان حالهم عند البعث، وقدم خشوع البصر على صاحب الحال لشخوصها في ذلك اليوم لشدته، في حين أخره في سورة المعارج ؛ لأن الحديث عن البعث والنشور وما يصيبهم فيه فقال تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ المعارج/٤٣-٤٤، في حين جاء الربط بين القلوب وما يصيبها وبين الأبصار وذلولها في سورة النازعات، وفيه دلالة على أن الخشوع في القلب أصل وفي غيره مجاز، فالقلب موضع الخشوع لذا أعاد الضمير في(أبصارها) إلى القلوب قال تعالى: چ ۓ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ النازعات /٦-٩.

وفي حديثه عن خشوع القلوب والأصوات والأسماع جاء في سياق آية لكل منها فقال تعالى: چ ے ۓ ۓ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چ الحديد/١٦، وقال: چ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ چ طه/١٠٨، وقال: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ الغاشية/١-٢، فضلا عما تتضمنه الآيات من إشارات إيحائية، فحديثه عن اليوم الآخر والحشر والنشور، وما يكون فيه حال المؤمنين، وما يصيب غيرهم من شدة وبأس وإذلال وانكسار – فيه دلالة على مايصيب القلوب من ذلك اليوم من خوف ووجل ورهبة لينتقل إلى الجوارح، فيعمها ذلك الذهول والوجل.

وقد أتى النص القرآني ببعض العبادات وربطها بالخشوع، ولاسيما الصلاة ؛ إذ إن العبد فيها يجب أن يكون مع الله، فلا يشغله شاغل، ويكون في سكون وخوف ووجل قلبا وجوارح، وقد خصها القرآن في موضعين، البقرة/٤٥، والمؤمنون/٢، وجعل الخشوع مطلقا عاما ؛ لأنه يشمل كلية الجسد باطنه وظاهره ؛ إذ الصلاة عبادة بدنية روحية، فكان الخشوع مشتملا عليهما كليهما؛ إذ هو من جانب القلوب عمل روحي، ومن جانب البدن عمل حسيّ، يلحظه من كان له نظر في سَمْت الخاشعين؛ لذا جاء مع الصلاة مطلقا غير منسوب إلى عضو أو جارحة أو قلب، ليفيض على أركان الإنسان كلها قلبا وقالبا.

أما بيان الخشوع في يوم البعث والنشور فقد خصص وفصّل، ونقل لنا أحوال الواقفين في ذلك العرض المشهود، فمرة وصف القلوب، ومرة الأبصار ومرة الأسماع، ومرة الوجوه، وعند النظر الكلي للموقف يمكن أن نصل إلى فهم كلي للصورة، ولم يتوقف الخشوع عند حدود البشر بل شمل الكائنات الحية والجامدة كذلك، فذكر خشوع الأرض (فصلت/٣٩)، وخشوع الجبال(الحشر/٢١) ؛ لغرض بياني هو التنبيه والحث على أنّ هذه الجوامد متحركة تجاه خالقها، فما بالك أيها الإنسان لا يتحرك لك قلب، ولا تدرك ولا تعي تقوى ولا خشية.

المبحث الأول: الاشتقاق والبناء

المطلب الأول: الاشتقاق اللغوي لـ(خشع)، وربطه بالدلالة الشرعية

أولا: معناه اللغوي.

ذكر المعجميون معاني متعددة للخشوع، قال ابن منظور(ت٧١١هـ): ((خَشَعَ، يَخْشَعُ خُشُوعًا وَتَخَشَّعَ: رمى ببصره نحو الأرض وغَضَّه وخفض صوته))[٣]، وقيل: الخُشُوعُ: التَطَامنُ والتواضع والسكون[٤]، والتَخشُع: التضرع، وقيل: تكلف الخشوع، ولله تعالى: الإخبات والتذلل[٥]، واختَشَعَ: طأطأ صدره وتواضعَ[٦]، والخُشْعَةُ: قُفٌّ غلبت عليه السهولة، والجمع: خُشَعٌ وقيل: ماغلبت عليه السُّهولة أي: ليس بحجر ولا طين ويروى: خَشَفَةٌ(بالخاء والفاء)[٧]، والخَاشِع من الأرض: الذي تُثِيرهُ الرِياحُ لسهولتهِ فتمحو آثاره[٨]، وقيل الأرض الخاشِعةُ: المتغيِّرة المتهشمة النبات أو لا منزل فيها[٩].

ومن أجل استكمال دلالة الخشوع في سياقه القرآني فلابد من الإشارة إلى أهمية الصوت ذلك أنّ أصوات [خ، ش، ع]تتناغم مع بعضها ؛ لتهيئ للنفس ارتياحا واستقبالا ؛ وتعبر عن حال الخاشع حسيا ووجدانيا، فالخاء يدل على الرخاوة والطراوة والشين على الانتشار والعين على العمق[١٠]، وبذلك يكون اللفظ دالا على عمقه في النفس والقلب، منتشرا على الجوارح، دالا على طراوة الخاشع وإيمانه، ولم يخرج المعنى اللغوي عن الدلالات الآتية: (الانكسار، خفض الصوت، الغضُّ، الطأطأةُ، التواضعُ، التضرعُ، الإخبَاتُ، التذللُ، السهولة، السكون، التهشُّم، المغبر)، وثمة رابط بين المعاني وهو السكون والتطامن .

ثانيا: دلالته الشرعية(القرآنية)

قيل: هو خشيةٌ من الله تكون في القلب فتظهر آثارها على الجوارح[١١]، أو هيأة في النفس يظهر فيها على الجوارح سكون تواضع[١٢]، وقيل: يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع[١٣]، وقيل: انقياد تام لأوامر الله ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق[١٤].

فأساس الخشوع القلب ثم تنقاد الجوارح له خوفا ووجلا ومراقبة وتذللا لعظمة الخالق جلّ جلاله[١٥]، حتى تظهر آثارها بالسكون وعدم الالتفات والبكاء والتضرع والتواضع[١٦]، ودليله قوله (صلى الله عليه وسلم): (لو خشعَ قلبهُ لخشعت جوارحه)[١٧].

وكان من نتائج ما قيل في تعريفه أنّ الفقهاء قد ذهبوا في حقيقته على مذاهب: فبعضهم قيده بأفعال القلوب، في حين ذهب آخرون إلى أنه من أفعال الجوارح[١٨]، والحقيقة إنه فعل جامع بين أفعال القلوب والجوارح، بل هو فعل قلبي يلزمه أثر في جارحة من جوارح الخاشِع، إذ إن ما يصيب القلب من خوف ووجل يتجسد ويظهر ويبين على شكل سكون وإخبات وتذلل وانكسار وغض بصر وخفضه وجموده، وسكون صوت، وغير ذلك من أفعال الجوارح، حتى يستسلم المؤمن لقضاء الله الكوني والشرعي[١٩].

وإنّ كمال المعرفة لله ومراقبة الخاشع لنفسه حتى يستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة هو من الخشوع العام، في حين الحضور القلبي، وقت أداء العمل مع سكون ظاهر وباطن، هو من الخشوع الخاص[٢٠].

فالخشوع: مصطلح إسلامي للتعبير عما يجده الإنسان من إيمان وخشية ونية في قلبه[٢١]. ولا نجد بونا شاسعا بين الدلالة الاصطلاحية وبين الدلالة اللغوية ذلك أنّ غالب التعريفات قائمة على أساس الربط بين الفعل القلبي وبين أفعال الجوارح.

المطلب الثاني: دلالة سياق بنية الخشوع

لاشك في أن السياق القرآني ونظمه في آيات الخشوع يراعي بنية الكلمة ونجد أنّ أكثر الصيغ الصرفية صيغة(اسم الفاعل)[٢٢]، ثم المصدر[٢٣]، ثم الفعل[٢٤] ؛ وإنما كثر التعبير باسم الفاعل لما يحمله من دلالة على الحدوث والتجدد، ذلك أنّه يحمل دلالة المزاوجة ((إذ أصبح مشتركا بين دلالة الثبوت من جهة النظر كاسمٍ في مقابل الفعل الدال على التجدد))[٢٥]، فالخشوع يكون في القلب ابتداءً حتى يتمكن ويثبت ليتجدد في الجوارح، ولما كان القلب متقلبا، بل سُمِّي قلباً لتقلبه بالخواطر والعزوم[٢٦]، فالخشوع يتجدد ثبوته مع تقلب القلب، بل يزيد وينقص تبعا للإيمان، فيتحرك في الجوارح كل يوم وفي كل عمل، وهكذا كان حال المؤمنين، قال تعالى: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ البقرة/٤٥، وقوله في وصف المؤمنين والمؤمنات: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الأحزاب/٣٥، وقد تتجه الدلالة على التغليب أي تغليب دلالة الثبوت[٢٧]، ففي قوله تعالى: ﭽ □ □ □ □□ □ □ □ □ﭼ الأنبياء/٩٠، جاء (خاشعين)خبرا لكان والخبر في أصله صفة تشير إلى الثبوت، وان حملت معنى الاستمرارية لعدم توقف الدعاء، ، ومثل ذلك وجدنا دلالة المصدر إذ حمل معنى استمرارية الحدث فيما ورد من نصوص، قال تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ الإسراء: ١٠٩، ولم يكن الوصف باسم الفاعل للمؤمنين فقط، بل إنّ ذكر الكافرين وحالهم يوم القيامة جاء بهذه الصيغة، قال تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ المعارج/٤٤، وقوله تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ الغاشية/٢، وقوله تعالى:

چۇ ۋ چ النازعات/٩، ولم يخرج اسم الفاعل في كل ذلك عن معنى الحدوث والتجدد، لقوله ((يومئذ)) فهذه حالهم يوم القيامة، وفي تأنيث اسم الفاعل وتذكيره في حال تقديمه وتأخيره إشارة دلالية، فإذا تقدم على الجماعة فلك التأنيث والتوحيد لتأنيث الجماعة، قال تعالى: چ چ ج چ المعارج/٤٤، ولك الجمع قال تعالى: چ ٱ ب چ القمر/٧، والعرب تقول: مررت بشبان حسن أوجههم، وحسان أوجههم، وحسنة أوجههم [٢٨]، وحسن فيه الجمع ؛ لأن الجمع يدل على التأنيث، فصار في دلالته على التأنيث بمنزلة قولك(خاشعة أبصارهم)[٢٩]، وبين استعمال صيغة(خاشعة)في سورة المعارج، و(خُشّع) في سورة القمر فرق صرفي ودلالي، فـ(خاشعة)اسم فاعل بصيغة المفرد، في حين(خشّع)صيغة جمع يفيد التكثير والمبالغة نظير قولنا في المبالغة: قُلّب هذا أي: كثير التقليب وسريع التقلب، هذا من ناحية الصرف، أمّا الدلالة فسياق كل سورة يختلف عن الآخر إذ ذكر في القمر الحال متقدمة، وقال(شيء نكر)أي: شديد النكارة التي هي خلاف المألوف والمعروف، أمّا في المعارج فكلها مؤخرة، وإنما قدم في القمر لشدة الأمر، ودليل ذلك ذكره چ ڤ ڤ ڤ چ المعارج: ٤٣و چ □ چ المعارج: ٣٦ ولم يذكر ذلك في الآية الثانية وكلها تدل على شدة الموقف وهوله مع شدة النكارة فقال(خشعا أبصارهم)للدلالة على الكثرة والمبالغة وهو من تمام المناسبة، لكن ما قاله في المعارج چ ڤ ڤ ڃ ڃ چ المعارج: ٤٣، وهو من المألوف المشاهد، فوُضِع كلٌّ في مكانه ليناسب بين الحالين[٣٠] .

أمّا دلالة الفعل فقد وردت مرة واحدة، وبلفظ الماضي الدال على الثبوت والحصول والانتهاء[٣١]، ولكن ورود الفعل في سياق أخروي يعطيها إشارة ودلالة على الاستقبال، لينزل حوادث الاستقبال منزلة المضي إشارة لتحققها[٣٢] وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: چ ھ ھ ھ ھ ے ۓ چ طه/١٠٨، وأما في دلالة الفعل المضارع المنصوب الذي كوَّن مع ناصبه مصدرا مؤولا في قوله تعالى: چ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ الحديد/١٦، ففيه دلالة على الحال ؛ لذا جاء بمقابلة لطيفة بين الخشوع وقسوة القلب، ومقابلة بين الذكر الكثير وطول الأمد بالغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى،

مما يؤدي بالإنسان إلى الفسق والخروج عن الصلاة، فالحال يوجب الخشوع مع الصلاة ونفي القسوة عن القلب وكثرة الذكر.

المبحث الثاني: الألفاظ

المطلب الأول: الحقل الدلالي للخشوع.

تنوع الخطاب القرآني مع لفظ خشع ليشمل الكائن الإنساني (جسدا كليا)، و(جسدا جزئيا)، متمثلا بأعضائه المتعددة، ثم ما يتعلق به من كائنات جامدة (الأرض والجبال)، مبرِّزا دلالة الخشوع وما تعطيه من موضوعات دلالية .

أولا: الخشوع في القلب وجوارح الإنسان

١. خشوع القلب.

لفت القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالقلب، لأنه منبع الخشوع وبه صلاح الجسد وفساده قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): (إن في الجسد لمضغة إن صلحت صلح سائر الجسد وان فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب)[٣٣]، وتوعد الله قساة القلوب يوم القيامة بقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الزمر/ ٢٢خلافا لمن لانَ قلبه قال تعـالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الزمر/٢٣.

ولانّ الخشوع لا يتناسب مع القسوة أبدا لذا ربط السياق القرآني بين هذين الأمرين على سبيل المقابلة، فقال تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ الحديـد/١٦ . فالسـياق قـد صـور ملامـح الخشـوع قولا(الـذكر) وفعلا(القيام بحقوق الله)، وخص ابتداءً قلوب أناس دون غيرهم فقال(الم يأن للذين أمنوا)، فمطلق الحديث موجه للمؤمنين ومقيد(بالقلوب)؛ لأنها موطنه ومنها ينتقل إلى الجوارح، فإن لان سكنت الجوارح، وأقبلت على العمل، وإن قسا ابتعدت عن الذكر[٣٤] .

ولتقوية هذه الصورة وبيان أهميتها حشد السياق القرآني كل ما يقوي ويوضح ملامح الخشوع القلبي، فاسم السورة–الحديد– ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الحديد: ٢٥، فمقابلة الخشوع بالقسوة، والذكر ونفيه إلى زمن بعيد، وما يجره على القلب من قسوة، ومقابلة المؤمنين بالذين أوتوا الكتاب، والجامع بين هذه المحددات(اللين والقسوة)[٣٥]، والقسوة من أشد ما يصيب القلب من أمراض، مما يهيمن على النفس وعلى الجوارح ؛ لذلك قُيِّد القلب بالخشوع(أن تخشع) في حال سماعها (لذكر الله)، على أنّ اللام صلة الخشوع أو على أنها للتعليل بمعنى؛ لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل[٣٦]، وأساس الخشوع الرقة[٣٧] وإلا تطاول الزمن دون التحسس بكلام الله فيغلب الجفاء[٣٨]، فلا اطمئنان ولا تواضع ولا تذلل إلا بخشوع تام للقلب، يبدأ بالبعد عن القسوة ويلتزم الليونة[٣٩] .

٢. خشوع البصر.

أكثر ما ورد في السياق القرآني ؛وذلك لظهور(الخشوع)فيه أو كما قيل: لظهور آثاره فيه[٤٠]أو أثره فيه[٤١] أو لأنه أبين فيه من أية جارحة أخرى[٤٢] وقيل: (إنما أضاف الخشوع إليها(أي: الأبصار)، لأن العز والذل يتبين بها، فالذل والهوان حاصلان برؤية العذاب، والمعنى إن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب)(٤٣) قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭼ الشورى/٤٤–٤٥.

ولم يتفق العلماء على دلالة الخشوع في هذا المقام فقيل: الذل[٤٤] وقيل: الخضوع[٤٥]

والأقرب الذل بدلالة قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ المعارج/٤٤، فترهقهم أبصارهم بما يصيبهم من الذل الذي مرده أنّ أبصارهم لا ترى خيرا[٤٦]، وأن الحسرة والندامة تطبق عليهم[٤٧].

وقد تباين لفظ الخشوع مع الأبصار قال تعالى: (خُشّعا أبصارهم)القمر/٧، وقال: (خاشعة أبصارهم) المعارج/٤٤، وقال: (أبصارها خاشعة)النازعات/٩، [٤٨]، والأصل في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والتأنيث[٤٩]، ولعله جاء بجمع التكثير في سورة

القمر لبيان عظم هول الموقف، فالجمع(خُشّعا أبصارهم)للمبالغة، ثم كان الاعتناء متباينا فمرة قدم الأبصار(أبصارها خاشعة)، في سياق ذكر القلوب وأعاد جارحة البصر عليها، فالاعتناء بالقلوب وأبصارها، وكان الاعتناء (بالأبصار)هاهنا لما بيَّناه من(ظهور آثار الخشوع فيها)، ومرة أخرى(خاشعة أبصارهم) تبعا لطبيعة الحديث واختلاف موضع العناية؛ إذ العناية منصبة على بيان ذلهم فقدم الخشوع وأكّده بقوله ترهقهم ذلة .

وجاء الحديث في سياق اليوم الآخر، وما يحمله من رهبة وخوف ووجل وذل، إذ أكثر ما يُرى ذلك في البصر فاقترن به، والخشوع في هذا الموطن لا يخرج عن الخضوع والذل .

٣. خشوع الأصوات.

قال ابن منظور: (الخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن)[٥٠] قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ طه/١٠٨، أي: سكنت وكل ساكن خاشع خاضع[٥١]، وخفتت فلا يسمع الصوت إلا خفيفا ومنه الهمس[٥٢].

ومما يوضح ويقوي بيان هذه الدلالة أنها بيان للحال في اليوم الآخر، فالخوف والرهبة بمكان، حتى تجف الحناجر ويزداد الظمأ، فلا يكون الصوت إلا خافتا ضعيفا (ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) فلا يسمع إلا المقرب أو يكاد أن يسمع، فضلا عما تثيره عظمة الله ومهابته وشدة المطلع[٥٣]، فسكون وخضوع[٥٤]، مع إذلال وسكوت[٥٥].

ولا تقتصر دلالة الهمس على ما يقال فقط، بل قد يشير إلى كل ما يصدر صوتا فيدخل السير أو صوت الأقدام نفسها وفيه إشارة إلى أنهم يسيرون بحذر وخوف فلا تكاد تسمع حركات أقدامهم ومما يقوي ذلك أنّ الهمس نوع من حركة الإبل[٥٦] .

ومما أضفى قوة على دلالة الخفوت والهمس تكرار المهموسة(سكت فحثه شخص) بما يتناسب ومشهد الخشوع[٥٧] فالمناسبة بالصوت(خ، ش،)[٥٨]، فضلا عما تحمله هذه الأصوات من صمت فهي أصوات صامتة[٥٩]، وفي اللفظ(همسا)،

والمعنى (نفي السمع: لا تسمع)، وهو يقوي وينفي عدم النطق أو صدوره بالضعف الذي لا يقوى على سماعه، فالقلب بما أصابه من شدة ما يرى ويحس يسكن ويخشع ثم ينتشر إلى الجوارح، ومما يقوي ذلك ما في (الشين) المختصة بالخشوع من التفشي والانتشار[٦٠]، فرابط التنغيم بين أصوات الخشوع والهمس واضح.

٤. خشوع الوجوه:

لا يخلو أنّ يكون الوجه هو الصورة المعبرة عما يصيب الإنسان من مسرات وأحزان وضجر وكدر، بل إنّه مما يعبر عن الإحساسات الدفينة التي قد تطفو على الظاهر، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم سواء في الدنيا أم الآخرة، قال تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﴾ النحل/٥٨، وقال تعالى في وصف وجوه المؤمنين والكافرين يوم القيامة: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﴾ القيامة/٢٢–٢٥، فوجوه المؤمنين مستبشرة مضيئة، بيد أنَّ وجوه الكافرين كالحة شديدة العبوس[٦١]، وقال تعالى أيضا: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﴾ آل عمران/١٠٦ .

ولما كان الخشوع تظهر آثاره على الأبصار والأسماع، فان تمام ظهوره يكون على الوجوه، قال تعالى: ﴿ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾ الغاشية/٢–٤، وهو بيان لحال الكافرين يوم القيامة[٦٢] وإنما كان التعبير بالوجوه لظهور ملامحه عليها، فما يصيبها من خزي وذل من هول ما ترى ومن سوء العاقبة[٦٣]، فهي عابسة شاحبة متغيرة سوداء فضلا عما يصيبهم من ندامة وحسرة[٦٤]، وهذه الدلالة أكثر ما تكون مرتبطة بالمعنى اللغوي الموجود في قوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾ فصلت/ ٣٩، فالأرض مغبرة متغيرة يابسة وهو من قولهم: أرض خاشعة((والمقصود وجه الأرض))[٦٥]، فحال وجوه الكافرين من الغبرة والقتر كحال الأرض بدليل قوله تعالى: ﴿   ﴾ عبس/٤٠–٤١، فدلالة الخشوع في سياق الآية الكريمة محدد بمعنى الذل وتغيرها بالعذاب[٦٦].

٥. خشوع البشر عموماً

شمل السياق القرآني عموم البشر بخطابه، ولم يقتصر على فئة دون أخرى، ففي آل عمران كان خطابه لأهل الكتاب بقوله: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ آل عمران/ ١٩٩، ثم بين في سورة الأنبياء –بعد أن بين دعاء كل نبي وما حباه الله من دعوته – بيّن قيمة دعائهم ؛ ذلك انه ممزوج بخشوعهم، وهو رزق من الله لهم، وظهور أثره في جوارحهم وتصرفاتهم، قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الأنبياء/٩٠، ثم خص المؤمنين والمؤمنات ؛ لثبات الصفة فيهم قال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأحزاب/ ٣٥.فالإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر فالخشوع وهذا الترتيب، يعود إلى أنه لا قيمة للخشوع ما لم تتمثل هذه الخصال بفاعله، بل لا يصل إلى مراتب الخشوع إلا بعد تحصيله ما تقدم في الآية على الخشوع، وفي خطابه الأنبياء والمؤمنين وأهل الكتاب من آمن منهم بلفظ يدل على تخصيص الخشوع بذات الله تعالى ؛ لأنه المستحق للخشية دون المخلوقين، فقال: (خاشعين لله) وقال: (كانوا لنا خاشعين) وقال: (والخاشعين والخاشعات) وفي نهاية الآية ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الأحزاب/٣٥ فجعل الخشوع مع المؤمنين معنوياً، ويظهر عليه معنى(الإخبات والخشية)[٦٧].

ثم خاطب الكافرين يوم القيامة بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ الشورى/٤٥، وجاء لفظ الخشوع بصيغة الجمع تدليلا على المبالغة والكثرة، فجعلها مع الكافرين حسية بمعنى(الخنوع والخضوع)[٦٨] ؛ لقوله من الذل ومن سببية ؛ لأنه يصدر من المؤمنين بفعل الخشية في حين يصدر من الكافر بفعل الذل والخوف.

ثانيا: خشوع الجوامد.

١. خشوع الأرض:

الأرض آية من آيات الله، وأوجب الله على المؤمن الصادق التدبر والتأمل والتفكر بها، قال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ آل عمران/١٩١، ومن مظاهر التدبر التي جسدها السياق القرآني(صورة الإحياء والإماتة)، ولاسيما

موت الأرض وإحياؤها، وهو راجع أيضا إلى الإشارة إلى البعث والنشور، ولكن هنا بطريق المجاز على سبيل الاستعارة، فكما أن الأرض اليابسة يحييها الله بالماء، فتهتز وتربو بالنبات، قال تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ فصلت/٣٩، فقوله(إن الذي أحياها لمحيي الموتى)يثبت أنّ الأرض مَثَل لإحياء الإنسان، وهكذا حال القرآن الكريم يضرب الأمثال للخلق على المغيبات من الحسيات لتقريبها إلى الأذهان ؛ إذ الإنسان عدو ما جهل، وقد قابل السياق القرآني(خشوع الأرض)بـ(اهتزازها وربوتها)، ذلك أنّ الخشوع يمثل مرحلة الموت واليبس والفناء، في حين يمثل الاهتزاز مرحلة الإحياء والإنبات، فالأرض ساكنة[٦٩]، وهو أصل دلالة الخشوع، فهي ساكنة هامدة ما لم ينزل عليها القطر، مخبتة متطامنة[٧٠]يابسة[٧١]غبراء دارسة، كما قال الشاعر[٧٢]:

رمادٌ ككحلِ العينِ لأياً أُبينُهُ ونُؤْيٌ كجذم الحوض أيلم خاشع

واستعير الخشوع لها وهو التذلل لما ظهر بها من القحط وعدم الإنبات وسوء العيش، يقول الزجاج: ((الخاشعة المتغيرة المتهشمة لا نبات فيها))[٧٣] بخلاف أن تكون معشبة وأشجارا مزهرة فذلك هو حياتها[٧٤] .

وكما تقدم أن الرابط في ذكر خشوع الأرض هو الإماتة والإحياء للبعث ؛ ولظهور ملامح اليبس على وجه الأرض، ثم اخضرارها بالحياة فإنّ السياق القرآني قد جعله ملمحا لبيان إحياء الإنسان من رماد تلك الأرض.

٢. خشوع الجبل

مثل الجبل في القران الكريم صورة الشدة والقوة والبأس قال تعالى: (والجبال أوتادا) النبأ/٧، فهي مانعة للأرض من الاضطراب[٧٥]، ومع هذا فإنّ السياق القرآني قد ذكرها بالمحسوس المتصور، وكأنّها كائن يحس ويتأثر كثيرا، قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ ص/١٨، فهن يسبحن كما يسبح الإنسان، ومثل ذلك ما ورد في شعر العرب[٧٦]:

لما أتى خبر الزُبير تواضعت سور المدينة والجبالُ الخُشّع

فالجبال خشعت وتذللت لِعِظم المصيبة[٧٧] ؛ وإنما يبين السياق القرآني ذلك ليتعظ ابن ادم ويتدبر، وقد أشار القرآن إلى ضآلة الجبل أمام عظمة الله فقال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﭼ الأعراف/١٤٣، فجعل الجبل مفتتا مسحوقا، والى صغره أمام القـران الكـريم قـال تعـالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الحشر/٢١، وعند النظر في سياق الآية الكريمة نلحظ دلالات متعددة(أسلوبية، بلاغية)فحقيقة الخطاب للإنسان الذي جحد بنعم الله ولم يخشع له، أو الذين قست قلوبهم عن ذكر الله، ولم تخشع عند نزول القرآن الكريم، والجامع بينهما القسوة والشدة، إلا أنّ الجبل على شدته وقسوته يخشع ويتصدع من خشية الله، وفيه إشارة حث للإنسان إلى التزام الخشوع، وقد وقف العلماء كثيرا على بيان طبيعة الخشوع هاهنا وعلاقته بالتصدع، وفي الخشوع والتصدع ترتيب زمني، وهو حادث ولا يعني استعمال(لو)عدمه ؛ لكونها حرف امتناع لامتناع ؛ لأن العلماء ألزموا حدوثه بحدوث الإنزال(إنزال القرآن على الجبل)وهو ثابت لثبوت سبب آخر وهو الخشية[٧٨]، أما حقيقة الخشوع في الجبل فهي متمثلة بحركات الخضوع والركوع والطأطأة، لأنها تؤدي إلى الانكماش والتقلص في الحجم، وقد أثبتت تجارب الصخور أن ما يحصل في الجبال من استجابة لقوى الانضغاط يكون بالتقلص(الخشوع) أولا، ثم تتعرض للتكسر(التصدع) في نهاية المطاف [٧٩]، فالجبال تتميز بخاصيتين هما: الطيُّ والالتواء، وخاصية التصدع، ونستطيع القول أنّ القرآن الكريم قد سبق الإشارة إلى هذه الحقيقة من خلال هذه الآية، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا؛إذ نفهم من هذه الآية أنّ خشية الجبال لله تتم من خلال التواء الصخور وطيها(الخشوع) ومن خلال تكسرها وتفلقها(التصدع)[٨٠]، وفي اللغة: (جدار خاشع: تداعى واستوى في الأرض)[٨١]، ودليله قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، وإن العلاقة بين الخشوع والتصدع هو الانهيار والتهدم، وان الخشوع سابق، لأنّ خاصية الالتواء والطي سابقة في الحدوث على خاصية التكسر والفلق والتشقق(التصدع) وهو ما أثبته

العلم الحديث[٨٢]، فالخشوع في الجبل محسوس يدل على التطامن والتداعي أمام هيبة كلام الله تعالى.

ثالثا: الخشوع في العبادات

لا تخلو أية عبادة من العبادات منه، بل هو مقياس لصدقها ؛ لأنّ العبادات تمثل التواصل بين الخالق والمخلوق، بين مرسل ومتلقٍّ، تستوجب الطاعة من المخلوقات والخضوع للخالق، وهي ما يعرف شرعا بالعبادة[٨٣]، ولما كان الخشوع في أصله قلبيا كان وجوده في كل العبادات حتمياً ؛ لأن القلب أصل في العبادات كلها، ولا تصح عبادة إلا به، ودليل ذلك النية؛ إذ محلها القلب، وهي ركن في الشروع بكل عبادة قال النبيﷺ ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى))[٨٤] وقد جاء السياق القرآني مفعِماً لهذا المعنى ؛ لأن الخشوع في أصل دلالته معنوي فارتبط بالمعنويات، وليجعلها قياسا لبقيتها، ومن أكثر العبادات التي تجلى الخشوع فيها أعظمها منزلةً أَلا هما الصلاة وقراءة القرآن، لذا سنقف عليهما.

١. الخشوع في الصلاة.

الصلاة تواصل دائم بين الله ومعبوده، يستلزم فيها حضور قلبي تام، وتحصل فيها حالة نفسية تعرف شرعا بالخشوع، وهي عبارة عن رقة قلب تسري في باقي الجوارح بما فيها الجلود التي تقشعر، فخشوع الصلاة مرتبط بخشوع القلب، لكن الصلاة عمل قلبي بدني ؛ لذا كان الخشوع متجسماً في جوارح المصلي كما هو في قلبه ؛ لذا كان إلزام العين موضع السجود وعدم رفعها إلى السماء، وعدم الالتفات، وعدم إشغال اللسان والأيدي إلا بما هو أساس في الصلاة دليلاً على تمام الخشوع[٨٥]، ويصدق فيه قول رسول الله ﷺ: (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)[٨٦] وقولهﷺ أيضا: (إن اللهَ أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإنّ الله ينصبُ وجهه لوجه العبد في صلاته ما لم يلتفت)[٨٧]، فالخشوع تارة يكون من فعل قلبي كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسكون، بل لابد من اعتبارهما معا في الصلاة.

ولأهمية الخشوع في الصلاة نجد السياق القرآني قدمه في الذكر من سورة المؤمنون، فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ المؤمنون: ١– ٢ على أساس مهم في الصلاة، وهو المحافظة عليها فقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ المؤمنون: ٩ ؛ لأن الخاشع أكثر التزاما وحفاظا على أدائها ؛ لأنّه الخائف في القلب الخاضع في البدن(٨٨)، المتواضع بالقلب والجوارح[٨٩]، وقال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ البقرة: ٤٥، والخلاف في عود الضمير (ضمير الخاشعين)على المتقدم حاصل فقيل: إنه عائد على الصلاة ؛ لأنها الأثقل، والأكثر تكلفا، في حين نجد أن الضمير عائد على الاستعانة نفسها، لأنها شاملة(الصبر والصلاة) فإنها المقيدة بفعل الخاشعين، وقدم الصبر لشدة الأمر وكلفته ؛ لأن خشوع(الصلاة) يحتاج صبرا ومرابطة قلبٍ صافٍ ليقع فيه الخشوع، وجاء بصيغة الجمع المذكر السالم(الخاشعين) ؛ لتحمل هذه الصيغة دلالات متعددة، أولاها: دلالة اسم الفاعل ؛ لأنها جمع له، وما يحمل من دلالة الحدوث والتجدد، مما يثبت زيادة الخشوع[٩٠] كلما زاد التدبر والصبر على حصر المصلي ذهنَه في الصلاة ؛ لذلك قال في سورة المؤمنون(ﭖ ﭗ ﭘ) فاستعمل الظرفية، وثانيها دلالة الجمع وفيها إشارة للزيادة، وهذا يشير إلى أن الاستثناء مع أنّه قيد بالخاشعين لكنه الفعل الغالب في الحدوث مع ثقل الأمر وشدته، ثالثها: دلالة الشمول فلفظ(الخاشعين)غير مقيد بل عام مطلق، لا يقتصر على المؤمنين بل على عامة الناس ذلك أنّ من أهل الكتاب من يشملون به ؛ إذ إن لهم ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الحج: ٤٠، قال تعالى ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ آل عمران/ ١٩٩، رابعا: دلالة التوكيد بأسلوب الحصر، وفي النص: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ) أكثر من دلالة تفيد تقوية القول وتأكيده: فإنّ المؤكدة، واللام في لكبيرة، و(إلا) التي تفيد تقييد ما بعدها بما قبلها، وتخصيص الأمر به.

٢. الخشوع في قراءة القرآن الكريم:

القرآن هو النص المتعبد بتلاوته، في كل وقت وفي كل صلاة، قال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ محمد/٢٤، وقال: ﭽ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﭼ المزمل/٢٠، وقال: ﭽ ٹ ٹ ٹ ڈ ﭼ المزمل/٤، فالقراءة والترتيل نوع منها، ثم التدبر، وهو التأمل الشامل في معانيه وعباراته ودلالاته، مع التفهم لمقاصده ومراميه، قال ابن القيم (ت٧٥٢هـ): (ليس الشيء أنفع للعبد من معاشه ومعاده من تدبر القرآن، وجمع الفكر على معاني آياته)[٩١]، والذي يستوجب الإخلاص، وتصحيح القصد، وتفريغ النفس من شواغلها، هو التلاوة بخشوع وتدبر؛ لأنهما من الأركان المهمة في القراءة، فيكون الخشوع أمرا عارضا معنويا يعترض القلب بتأثير مؤثر يجلبه السمع في الأذن ثم يستقر في القلب، قال تعالى: ﭽ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﭼ الحديد: ١٦، فقال تخشع القلوب لأجل سماع ذكر الله وهو هنا القرآن، ومن بعده ينطلق ويشع على الجوارح [٩٢]، قال تعالى: ﭽ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ﭼ الإسراء: ١٠٩، فسماع القرآن أثّر في القلب فبعث على تحريك الجوارح وهو خرهم للأذقان، بل تقشعر الجلود له ثم تلين بفعل استقرار الخشوع في القلب، قال تعالى: ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ﭼ الزمر: ٢٣، لذا يمكن القول إن الخشوع للقرآن الكريم حالة ذوقية معنوية، يجد أثرها السامع في القلب، ثم تنبعث على الجوارح، ولا تجدها إلا عند الذين أحكموا السفينة، فأتوا بمقدمات الخشوع من تقوى وعمل صالح .

المطلب الثاني: فروق الألفاظ المقاربة للخشوع

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: ((الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد من محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيدان خوفه مقرونا بمعرفة الله، وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد منيباً إليه بقلب يحدث له الوجل))[٩٣]، ولاشك في أن بيان معاني الخشوع سواء عند المعجميين أم عند المفسرين كان بألفاظ محددة، وإن التقارب مهما بلغ فلابد من أن يكون بينهما فرق، ولا يمكن أن تتحدد دلالة المفردة من دون دراسة متكاملة(صرفية، نحوية، معجمية، دلالية)لها، وعلاقتها بما جاورها، والحدود السياقية الواردة فيها ؛ لذا تكفّل البحث مهمة الدراسة السياقية لكشف دقائق المعاني، وعلى النحو الآتي:

١. خشع وضرع:

قالوا: (تَخَشَّعَ: تذلل وتضَّرع وتكلف الخشوع)[٩٤]، إلا أن حقيقة الأمر أن الخشوع يكون عاما ؛ أي: ما يكون في القلب وما يظهر على الجوارح، أمّا التضّرع فهو في القلب خاصة، قال الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ): ((أكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح))[٩٥]، فضلاً عن أن التضرع يكون في الدعاء ويلازمه التذلل وإظهار الفقر والمسكنة، قال تعالى: ﴿ ﴾ الأعراف/٢٠٥.

٢. خشع وخاف:

قالوا في تفسير قوله تعالى: (في صلاتهم خاشعون) أي: خائفون[٩٦]، وإن المتأمل في استعمالهما يجد أن الخوف ينتج عن معرفة وتقترن معه الخشية، وأن نتاجهما هو الخشوع والإخبات والوجل[٩٧]، وأن الخشوع خاصّ لله وحده في حين يكون الخوف عاما لله ولغيره،

وغالباً ما يحدث الخوف عن تسلط وقهر وإرهاب [٩٨]، قال تعالى: ﴿ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﴾ النمل: ١٠، فالخوف يكون في مقام الانقباض وعدم الطمأنينة ؛ لذا منعه الحق بينه وبين عباده الخُلَّص من الأنبياء والأولياء[٩٩]، بيد أن الخشوع يكون في مقام الانبساط وانشراح القلب وقرب العبد من ربه، وقد أثنى الحق على الخاشعين وندبهم إليه، كما هو الحال في آيات خشوع الأنبياء والمؤمنين السالفة .

٣. خشع وذل

قالوا في قوله تعالى: (خاشعة أبصارهم) أي: ذليلة خاضعة[١٠٠]، فأبصارهم ذليلة خاضعة، لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب(عذاب الله)يوم القيامة [١٠١]، فهم يخفضون البصر منكسرين متذللين، وفيه إذلال وتحسر، فالذل يكون في النفس لما يلحق فيها من ألم أو حزن أو عقاب، في حين يكون الخشوع الذي هو التطامن والخنوع من نتائجه، بدليل اقترانه به، قال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ﴾ الشورى/٤٥، وقال: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾ المعارج/ ٤٤، وأكثر ما يكون في البصر ؛ لأن أثر الذل واضح في العينين ؛ لذا خُص بالذكر[١٠٢]، فأعطى لفظ الذل توسعا في المعنى وقوةً وبياناً وتعليلاً ؛ لما لحق أبصارهم من انكسار وخضوع (وفيه دلالة نفسية)، فكلما ازداد الذل ازداد الانكسار وتوقف النظر إلا من طرف خفي، قال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ﴾ الشورى: ٤٥، وهذا لا يمنع من تجسده في القلب والبصر والسمع، ولاسيما يوم القيامة لشدة ما يصيبهم من هوان وذل [١٠٣] ؛ لذا ورد مع القلوب والوجوه والأصوات، في مقام الحشر أيضا– كما تقدم –، فمعنى الخشوع في هذا الموطن حسيٌّ يغلب على الحواس ؛ لأثر ذلة النفس ثم الندامة[١٠٤] في الجوارح وأنها موطن السيئات لذا خُصت بالذكر، بل اشتُقّ فعل الذنوب منها، فقال تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ﴾ الجاثية: ٢١، فالخشوع نتاج الذل، وليس الذل نفسه بدليل وجود (من) في سياق النص القرآني (ٻ ٻ ٻ)، وهو من الخشوع المذموم ؛ لأنه تطامن وخنوع لا طمأنينة وسكون ؛ لذا ورد في سياق العاصين – أعاذنا الله منه.

٤. خشع وخضع.

قالوا الخشوع: الخضوع[١٠٥]، إلا أنّ الخشوع في الصوت والبصر والبدن في حين يكون الخضوع في البدن[١٠٦]، ولا يكون الخشوع إلا عن انفعال صادق بجلال من تخشع له، في حين قد يكون الخضوع تكلفا عن نفاق أو خوف أو تقية أو مداراة[١٠٧]، وغالب الخضوع يكون من الجوارح، قال تعالى: چ ذ ث ث ث ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ الأحزاب/٣٢.

ويتسق البيان القرآني في استعماله للخشوع اتساقه في استعمال الخشية فكل خشوع في القرآن إنما يكون لله وحده، قال تعالى: چ □ □ □□ □ □ □ □چ الأنبياء /٩٠، ومن الباحثين من قيد الخشوع بالقلب والخضوع صفة للبدن، وهو أثر للخشوع[١٠٨] خلافا للراغب الأصفهاني، الذي عدهما واحدا، فالخضوع هو الخشوع نفسه[١٠٩]، والحق أنّ الخضوع((حسي فهو أقرب إلى الجوارح في حين يكون الخشوع معنويا قلبيا ٠٠٠فهو أقرب إلى القلب))[١١٠]، لكن يظهر على الجوارح لقوله: (صلى الله عليه وسلم): (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)، فالخضوع ظاهر حسي، والخشوع باطن قلبي، ولا يكون الخشوع إلا بخشية وإيمان في حين يكون الخضوع بتكلّف أحيانا.

ويقترب الخشوع في دقة المعنى من الخضوع كثيراً في آيات اليوم الآخر السالفة الذكر؛ لأنه حسي كما أن الخضوع حسي، وأنه مذموم لاقترانه بالذل، كما أن الخضوع مذموم ؛ ولأنه خنوع بدليل قوله (ترهقهم) كما أن الخضوع خنوع، لكن يفترقان في أمرين: الأول أن الخشوع يمر على القلب ثم ينبعث على الجوارح بفعلٍ قلبي، ولا يكون الخضوع بأثر قلبي، بل الانطلاق من الحواس بدليل قوله (ڤ ڤ ڤ) والقول محسوس، وقوله: چ ٹ ٹ ڈ ڈ چ الشعراء: ٤، والأعناق محسوسة، والأمر الآخر أن الخضوع في كل أحواله مذموم، لكن البيان القرآني اختص الخشوع المذموم في اليوم الآخر فحسب ؛ ليجمع ذل القلوب والجوارح في مقام واحد، وهو أعلى درجات الذل .

٥. خشع وخبت.

قيل الخشوع: الإخبات[١١١]، والإخبات الاطمئنان والاستقرار حتى يتخلص من الاضطراب والاختلاف والتردد، وعند التأمل نجد أن الإخبات خاص، فلا يكون إلا في القلب، بدليل قوله تعالى: ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﭼ الحج/ ٥٤، في حين الخشوع يكون في القلب والجوارح، إلا أنّهما يشتركان بان منشأهما الخشية[١١٢]، وقد يكون الإخبات بمعنى الاطمئنان ؛ لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ هود/٢٣ ؛ أي: اطمأنوا إلى وعده وأنابوا له[١١٣]، وقالوا: ((الخبت المطمأن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد))[١١٤]، والاطمئنان مقره القلب أيضا.

٦. خشع وهمد.

تقاربت اللفظتان كثيرا في استعمالهما في النص القرآني ؛ إذ قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الحج/ ٥، في حين جاء في سورة فصلت: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ فصلت/ ٣٩، والسؤال ما العلاقة بين الفعل (همد) والفعل (خشع) ؟وهل هما بمعنى واحد؟ ولم كان الاختيار في الأولى بلفظ(همد) في حين جاء بالثانية بلفظ(خشع)؟، وعند الرجوع إلى معناهما اللغوي، فلقد قيل: همدت أصواتهم: سكنت[١١٥]، وقيل: هامدة: جافة ذات تراب، وأرض هامدة: مقشعرة لا نبات فيها إلا اليابس المتحطم، وقد أهمدها القحط وفي الحديث: (أخرج من هوامد الأرض النبات)[١١٦]، وهي التي لا يكون فيها حياة ولا عود ولم يصبها مطر[١١٧]، وجاءت الآية مستأنفة مسوقة لتقرير الدليل الثاني، لأنّ الدليل الأول داخل في حيز النظر ومندرج في سلك المرئيات، فلذلك عبر عنه بقوله: (وترى الأرض) مقول به، وهامدة حال من الأرض[١١٨]، أما الدليل الثاني فغيبي وهو إحياء الموتى فقرب الغيبي بالحسي ؛ لذلك قال في الآية بعدها ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الحج: ٦ وقد عدل النص القرآني عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين إلى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز، لما في اللفظين من الملاءمة للمعنى المراد

؛ لأنّ الهمود يراد به الموت، والأرض في حال عطلها من السقي والنبات ميتة، فكان العدول إلى لفظ الهمود المعبر عن الموت أولى من لفظ السكون، والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز الممدوح للمدح فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاص، لما يشعر أن الأرض مستعطٍ عند سقيها ما يرضي نباتها، فتنزَّل السقي لها منزلة ما يسرها فاهتزت لتشعر بالعطاء[١١٩].

ومناط التحليل هاهنا في كلمة (هامدة) ولفظ(خاشعة)، إذ يتضح تقارب دلالي بين المفردتين، إذن فما سر التبادل السياقي بين الآيتين؟ ولم عبر بهذه اللفظة ولم يعبر بالأخرى في هذا الموضع والعكس؟، من الملحوظ أنّ المفردتين تتحدان في المعنى العام ويستدل بهما على قدرة الله تعالى على البعث والإحياء فما بعد السكون والهمود إلا حركة وحياة دالة على علاقة القدرة، وعظم الصيغة، أما من الناحية التاصيلية فإننا نجد بعض الإيضاحات فمن دلالة خشع اللغوية اليبس وعدم الإنبات وهو بمعنى، الهمود الذي فيه الإشارة نفسها فارض هامدة لا نبات فيها، ونبات هامد يابس[١٢٠]، وبالنظر إلى سياق الآيتين يلحظ الفرق بشكل كامل فالجو العام في سياق آية الحج يدور الحديث فيه عن البعث والإحياء والإخراج وهذا يتفق مع دلالة (هامدة) في اللغة في حين سياق سورة فصلت يدور الحديث فيه عن العبادة واستلزام الخشوع لله، واستحقاق المولى الكريم العبادة وعدم الاستكبار عنها، لذا استعير الوصف (أي: الخشوع) للأرض وان كان خاصا بالجوارح، ليكون رابطا بين العبادة التي مدار أصلها الخشوع والأرض المستعار لها ذلك الأصل، وهو ما يتّسق مع السياق التصويري للآية.

٧. خشع وغضّ

قيل: خشع ببصره: غضّه[١٢١] واخشع وتَخَشَّع رمى ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته[١٢٢]، وكل شيء كففته فقد غضضته وهو خاص بالصوت والبصر[١٢٣]، قال تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ لقمان/١٩، وفي البصر قوله تعالى: چ ڃ ڃ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ النور: ٣٠، وقول الشاعر ايضاً[١٢٤]:

فغض الطرفَ إنكَ من نميرٍ فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

ومن هذه النصوص يتبين أن لفظ(غضّ) مقيد بالصوت والبصر خلافا للخشوع الذي يكون الغضّ جزءا منه لعموم دلالته، فهو مشتمل على الجوارح كلها .

٨. الوجف والخشوع

ارتبط الخشوع بلفظ الوجف في قوله تعالى ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ النازعات: ٨– ٩ ؛ لما له من علاقة لغوية ودلالية، فالوجف خوف بقلق واضطراب شديد، وسمي الوجيف في السير لشدة اضطرابه ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو، والإيجاف حمل الدابة على السير السريع، قال[١٢٥]

بدَّلن بعد جرةٍ صَريفا وبعد طول النَّفَسِ الوجيفا[١٢٦]

((على أن الوجيف الذي هو عبارة عن اضطراب القلب وقلقه من شدة الخوف والوجل أشد من خشوع البصر))[١٢٧]، وفي الخشوع خوف لكن يشوبه السكون لا الاضطراب لذا جمع القران بينهما في صعيد واحد لزيادة معنى وللإشارة إلى هول يوم القيامة وما سيصيب قلوب الكافرين منها، أما المؤمنون فقلوبهم مطمئنة لقوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ الفجر: ٢٧– ٢٨ واطمئنان النفس من اطمئنان القلب، وبين اللفظين وصلة إعرابية بعودهما على القلوب إخبارا عنها، ووصلة معنوية وهو أن الخشوع حدث نتيجة الوجف لذا جاء بعده ؛ إذ إن الوجف شدة اضطراب القلب وفزعه حتى انه أدى إلى وقوفه وصموته المعبر عنه بالخشوع، فظهر ذلك على البصر أشبه ما يسمى في عصرنا بالسكتة القلبية، والسكتة لا تكون إلا من مفزع، حتى قيل: إن الفؤاد _ وهو لطيفة القلب – سريع التأثر بما يفجأ الإنسان من الفزع والخوف، وربما خرج من غشائه بفعل الفزع، فيموت الإنسان من ساعته[١٢٨]، وهو ما ينطبق وحالهم يوم القيامة إذ قلوبهم واجفة من شدة الأمر وصعوبته فأقلقت قلوبهم، لتسكن فيظهر أثرها في الأبصار وأعاد الضمير على القلوب لما لها من تأثير في الأبصار.فخشوعها من خشوع تلك القلوب ولشدة ما ترى القلوب توقفت حتى تتابع الأمر في الجسد[١٢٩].

هذه أهم الألفاظ مع وجود ألفاظ أخرى ولكنها مقيدة باستعمال خاص أو لغة خاصة كالركوع المقيد (بالصلاة)، والتواضع(المقيد بالسلوك)، والطأطأة(المقيدة بحركة الرأس أو الصدر) مما يوضح الفرق الدلالي بينها وبين الخشوع .

المبحث الثالث: اللمسات البلاغية (للخشوع)

يمثل البيان القرآني إعجازا نصيا للغة أو إعجازا سياقيا ؛ إذ إن المفردة في اللغة تمثل مرحلة من مراحلها الدلالية المعجمية، أما استعمال المفردة في سياق ما فهو تدليل على حياتها، وتمكنها في التعبير، واختيارها من بين مرادفاتها .

وقد جاءت لفظة(الخشوع) في النص القرآني بصور بيانية متعددة، وحمل ذلك التصوير دلالات متنوعة: على سبيل الحقيقة والمجاز، وعلى النحو الأتي:

المطلب الأول– الأسلوب الخبري:

أغلب الآيات حملت بصمة الخبر حقيقيا كان أم مجازيا، ولمّا كان غالب ماورد من نصوص هو خبر حقيقي، فإننا اكتفينا بذكر الخبر المجازي، مبينين مايقتضيه من معان:

أ. الخبر الخارج إلى معنى التهكم.

ففي قوله تعالى: ﴿ ۓ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾ النازعات/٦–٩. حكى النص حال الكافرين، فقلوبهم واجفة (ساكتة)، ثم وصف الأبصار بالخشوع، ولم توصف بالذل ابتداءً لما في وصفها بالخشوع من الإشارة إلى التهكم، وأنها لم تخشع في وقت ينفع فيه الخشوع [١٣٠]، ونحوه ما جاء في سورة الغاشية ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ﴾ الغاشية/٢–٤؛ إذ إن خشوع الوجوه لاينفع ولا يفيد في هذا اليوم، وكان لها أن تخشع في الدنيا ؛ وإنما سيق هذا الخبر على سبيل التهكم ؛ لذا وصفها بالعاملة(عاملة ناصبه)[١٣١]، وإن كان خشوع الوجوه يحمل معنى التغير والتقتر بالعذاب ففي طياته معنى التهكم من جانب أن الخشوع من خواص العابدين الطائعين، فنزل في مقام العاصين تهكماً بهم وزيادةً في التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ ں ڻ ڻ ڻ ﴾ المسد: ٥ ((وإنما ذكره مع المرأة من حيث كون الجَيَد طول العنق وحُسْنهُ ؛ لذا أُخِذَ منها الوصف جيداء لطول عنقها وحسنه، ولا ينعت به الرجل[١٣٢] ؛ إذ غلب على عنق المرأة ؛ وإنما ذكر حسن العنق مع حمالة الحطب ؛ لزيادة التحقير، كما قال تعالى: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﴾ الدخان: ٤٩))[١٣٣] .

ب. الخبر الخارج إلى التوبيخ والحث

ذكر الله جل جلاله مكانة القرآن وعظمته في قوله: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ﴾ الحشر/٢١، ولم يقيد القول بجبل محدد بل جعله مطلقا فهو حال عام شامل في الاستعارة التمثيلية، وفيه إشارة إلى توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوته القرآن ؛ لقساوة قلبه وقلة تدبره، في حين يتصدع الجبل ويتشقق وهو أصم جامد [١٣٤]، وفي هذا دلالة على علو شأن القرآن وقوة تأثيره ؛ لما فيه من المواعظ [١٣٥]، ولما كان القرآن

محرك القلوب ثم الجوارح بما ينعكس من القلب، كان الأولى للقلوب أن تخشع وتتصدع لذكر الله[١٣٦] وما يسمع أو يقرأ من كتابه، وفيه حث على المبادرة إلى مادعاهم إليه وخشية القلوب لما فيه[١٣٧].

ج. التقرير والتحقير.

ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الإسراء/ ١٠٩وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الإسراء/١٠٧ فبينت أنّ الله سبحانه لايكترث لأمرهم وفيها تقرير لذلك وذكر الآية التي تليها زيادة في التوبيخ والتحقير، .قال الإمام الرازي: (ويزيدهم خشوعا أي: تواضعا واعلم أن المقصود من هذه الآية تقرير تحقيرهم والازدراء بشأنهم وعدم الاكتراث بهم وبإيمانهم وامتناعهم منه وإنهم لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم)[١٣٨] .

المطلب الثاني: المجاز والاستعارة.

ظهر على الأسلوب القرآني استعمال (الخشوع) في غير معناه الحقيقي، والى إسناده لغير فاعله لدلالة ما، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ المعارج/٤٤، إذ اسند الخشوع إلى الأبصار أو وصف أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها[١٣٩]، فأطلق الأبصار، وهي جزء أو عضو من أعضاء الجسد، وأراد الجسد كاملا[١٤٠]، فالخضوع والانكسار والذل مقابل استكبارهم في الدنيا[١٤١] والمجاز علاقته(إطلاق الجزء وإرادة الكل)

وقد يكون المجاز على سبيل الحذف نحو قوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ طه/١٠٨، قال الإمام البغوي: (وصفت الأصوات بالخشوع وأراد أهلها)[١٤٢]، وهو مثل – وأسال القرية– والمراد أهل القرية[١٤٣]، ولكننا نرى أنّها على معنى الاستعارة بدليل أنّنا إذا أجرينا الاستعارة على الفعل(خشعت) بمعنى ذلت فهي استعارة تصريحية تبعية) ؛ إذ شبه الذل

والانكسار والخفوت البادي على الأصوات بالخشوع وبجامع الخفوت في كل منهما واشتق من الخشوع(خشعت) على سبيل الاستعارة(التصريحية، لأنّ المشبه به: مصرح به موجود، التبعية: ، لأنّها جرت بالفعل) وذلك أنّ الاستعارة مبناها على التشبيه والتشبيه وصف والوصف لاتتحمله الأفعال ولا المشتقات وإنما الأسماء الجامدة، فهي وحدها تتحمل الوصف ؛ لذا فإنّ الوصف يجري بها تبعاً لمصدرها، أمّا إذا أجريناها(في الأصوات) فهي استعارة مكنية أصلية إذ شبهت الأصوات بإنسان يحصل عنده خوف ورهبة وخشوع وانكسار فحذف المشبه به(الإنسان) وأبقيت لازمة من لوازمه تدل عليه وهي لفظة الخشوع(خشعت) فالاستعارة مكنية (لان المشبه به الإنسان مكنى وأصلية لجريانها في الاسم جريانا أصليا مباشرا.

ومما ورد في الاستعارة قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ فصلت/٣٩.

فجعل الأرض بما فيها من عطش ويبس وحاجة للماء، حتى أنها فقدت جمالها من قلة النبات أو انعدامه فهي كالخاشع الذليل العابس(١٤٤) فاستعير الخشوع والتذلل(لحال الأرض إذا كانت قحطه لا نبات فيها)(١٤٥)، فكل ما في الذليل العابس من صفات وهيأة ألبسها الأرض على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ومنه. قوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼالحشر/٢١، فمع ما حملته هذه الآية من توبيخ، فإنّ العلماء يذهبون إلى أنّ هيأة الجبل جيء بها تمثيلا وتخييلا لهيأة القلب العاصي والجامع بينهما القساوة والشدة والصلابة وعدم الخشوع ثم نزع من كليهما ذلك ليجعلهما واحدة متمثلة بالانقياد والطاعة والتصدع لأمر الله وطاعته، فإذا كان الجبل بقسوته وصلابته ينحط ويتصدع ويتشقق من خشية الله فكيف يكون القلب؟ وفيه تعظيم لكتاب الله سبحانه وتعالى، ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكبر(١٤٦)، والإنسان أحق أن يخشى ويلين قلبه لذكر الله(١٤٧)، فهي على سبيل الاستعارة التمثيلية. وأنّ الآية جاءت على سبيل التخييل والتمثيل لقوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها)، والرؤية بصرية(١٤٨).

وحمل العلماء قوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الحشر/٢١، دلالته بما بين الجبل(بأسه وشدته)من موازنة حاصلة، وبين القلب الذي لا

يتأثر بما أنزل إليه من ذكر، فكيف لا يتحسس القلب في حين يتحسس الجبل أو الحجر الأصم(١٤٩)، فالحديد والجبل بمقابل القلب والجامع القسوة والشدة والفارق عدم اتفاقهما في الخشوع.قال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ البقرة/٧٤.

المطلب الثالث: الكناية.

استعمل (الخشوع)في السياق القرآني بمعان عديدة منها(التذلل، الانكسار، الخضوع...)وحملت هذه المعاني عند المفسرين على أسلوب(الكناية)، وأكثرها في ما جاء مع الأبصار نحو قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ القمر/٧، وقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ النازعات/٩. قال عطاء: (هذه أبصار من لم يمت على الإسلام) (١٥٠)، (وقيل: أراد بالأبصار البصائر أي: صارت البصائر ذليلة لاتدرك شيئا فكنى بذلها على عدم إدراكها، لأنّ عز البصيرة إنما هي بالإدراك)(١٥١)، فقوله خاشعة أو خشعا دليل على الذلة والحسرة، فهي ذليلة يوم القيامة لاترى خيرا(١٥٢)، لا تُرفع لذلتها(١٥٣)، قال الإمام النسفي(ت٧١٠هـ): ((خشوع الأبصار كناية عن الذلة، لأنّ الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما))(١٥٤)، وقيل: كناية عنها وتنبيها عن تزعزعها(١٥٥) .

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض السياقي لاستعمال لفظ (خشع) وبيان دلالاتها لابد من أن نثبت بعض ثمرات البحث، مع ما ذكرناه في أثناء البحث، ولعل أهمها:

١. تنوع الخطاب القرآني في استعمال الخشوع، ليشمل الإنسان(نبيا، مؤمنا، كافرا، صاحب ملة أو مذهب)، ثم جسده أو بدنه(الباطن ممثلا بالقلب، والظاهر ممثلا بالاعضاءأو الحواس، (البصر، والسمع، الوجه)ثم ما يرتبط به من الطبيعة التي يحس بأسها وعظمتها، (الأرض، والجبل)ثم ما يعيشه وما ينتظره(الدنيا والآخرة ممثلة بـ(البعث والنشور ويوم

الحساب)، وما تكون عليه حاله(خشوعه)، ولاسيما مع (الصلاة وقراءة القرآن) فكل عمل ابن آدم مرهون بخشوعه.

٢. القلب أساس أو منبع الخشوع ثم يفيض على الجوارح، وهو يزيد وينقص تبعاً لزيادة الإيمان أو ضعفه.

٣. لم يقتصر لفظ الخشوع على صيغة واحدة بل شمل الفعل والاسم وأكثر ماجاء عليه هي صيغة اسم الفاعل الحاملة لخصائص الفعل والاسم.

٤. روعي في دراسة صيغ لفظ الخشوع السياق وعلاقتها بماقبلها ومابعدها بما يقوي الدلالة ويلحظ ذلك كثيرا مع استعمال صيغة اسم الفاعل، التي تنوعت بين الجمع(المذكر السالم، والمؤنث السالم والتكسير)ثم الافراد(مذكرا ومؤنثا).

٥. كشف الاستعمال البياني دلالات متعددة من استعارة وكناية ومجاز.

٦. اقترن لفظ الخشوع بلفظ الذل ولاسيما في حديثه عن اليوم الآخر والبعث والنشور؛ ليتوافق وطبيعة ذلك اليوم ومايكون عليه الحال لمن نسي الخشوع في الدنيا .

٧. أغلب دلالات الخشوع سياقا هي قريبة من معانيه اللغوية من انكسار وغضو تذلل وخنوع وخضوع وخوف ووجل وتطامن وغير ذلك.

٨. ترابط آيات الخشوع مع بعضها ونكاد نجد في كل أية معاني أو دلالات تحملها أية أخرى.

٩. بعض الأساليب قوت من دلالة الخشوع وأحيانا أكدته كأسلوب القصر والتقديم والتأخير.

١٠. في غالب آيات الخشوع الموجَّه للإنسان(نبيا، مؤمنا، كافرا٠٠٠)قيد الخشوع بالذات الإلهية(لنا خاشعين)، لينفي أي خشوع آخر كالخشوع للملوك أو الكبراء أو ذوي السلطة أو الخشوع لفقدان عزيز.

١١. الخشوع من نتاج الاستعانة بالصبر والصلاة.

١٢. مع أن للفظ خشع دلالات متعددة حددها المعجميون أو المفسرون إلا أن هناك فروقا لغوية كشفنا عنها في مواضعها من البحث، في حين وجدت بعض الألفاظ مقترنة بلفظ خشع زيادة في دلالته.

وختاما هذا الجهد ومن الله التوفيق.

هوامش البحث

١- مصنف ابن أبي شيبة ٢/٨٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٢/.٣٢٧

٢- مسند الشاميين ٢/٤٠٠، وينظر: تفسير الطبري٢٢٨/٢٧والمحرر الوجيز٥/٢٦٤، ومجمع الزوائد٢/.١٣٦

٣- لسان العرب٤/١٠٠

٤- لسان العرب٤/١٠٠، والقاموس المحيط/.٩٢١

٥- الصحاح/٧٤

٦- نفسه.

٧- لسان العرب٤/١٠٠

٨- نفسه.

٩- لسان العرب ٤/.١٠٠

١٠- أصوات الأحرف ودلالتها قائمة فيها، سامر أسلامبولي(بحث عبر الانترنيت)

١١- أضواء البيان ٥/٣٠٥.

١٢- المحرر الوجيز ١/.١٣٧

١٣- تفسير أبي السعود ٨/.٢٠٨

١٤- تفسير السمعاني ٣/.٤٦٢

١٥- التسهيل لعلوم التنزيل ٣/.٤٨

١٦- سبق تخريجه.

١٧- فتح القدير ٣/.٤٧٣

١٨- المصدر السابق ٣/٤٧٣

١٩- كلمات ومرادفاتها، بحث عبر الانترنيت.

٢٠- النهاية في غريب الحديث ٤/.٢٢٥

٢١- البقرة(٤٥)، آل عمران(١٩٩)، الأنبياء(٩٠)، المؤمنون(٢)، الأحزاب(٣٥)، فصلت(٣٩)، الشورى(٤٥)، القمر(٧)، الحشر(٢١)، المعارج(٤٤)، النازعات(٩)، الغاشية(٢)، أي بمعدل(١٢) مرة. من مجموع(١٥) مرة .

٢٢- الإسراء(١٠٩) مصدر صريح، الحديد(١٦)مصدر مؤول من(أن+المضارع).

٢٣- طه(١٠٨) بصيغة الفعل الماضي.

٢٤- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم/.٢٢١

٢٥- ينظر: المفردات في غريب القرآن /٤١١، والتبيان في تفسير غريب القرآن/٥٥، ودقائق الفروق اللغوية/ ١٠١.

٢٦- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم/٣٦٤.

٢٧- لسان العرب ٤/١٠٠.، وللمزيد ينظر: شرح ابن عقيل ص٤٤٢-.٤٤٣

٢٨- كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ٢/٢٩٧.

٢٩- لمسات بيانية(د.فاضل السامرائي)، أسئلة موجهة عبر الانترنيت.(غير موجودة في كتابه)

٣٠- معاني الفعل الماضي والمضارع في القران الكريم(بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية)، ص٧١.

٣١- تفسير البيضاوي ٥/٢٦٤.

٣٢- سنن الترمذي ٥/١٠٥.و تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٣/٨٥،

٣٣- التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٤٨.

٣٤- تفسير السمعاني ٣/٤٦٢و الكشاف ٣/١٧٧و التفسير الكبير ٢٣/٦٨، وتفسير القرطبي ١/٣٧٤و التسهيل لعلوم التنزيل٣/.٢٤٨ وفتح القدير ٣/٤٧٣و أضواء البيان ٥/٣٠٥،

٣٥- روح المعاني ٢٧/١٨٠.

٣٦-- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/٤٥٨.

٣٧- تفسير القرطبي ١٧/٢٤٨.

٣٨- من أظهر الأدلة على عناية القرآن الكريم بالتفكير، (بحث عبر الانترنيت)

٣٩- تفسير أبي السعود ٩/٣٥. روح المعاني ٢٩/٦٦.

٤٠- فتح القدير ٥/٢٧٥.

٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٣٥٣.

٤٢- زاد المسير ٨/٩١.

٤٣- تفسير الجلالين ١/٧٦٠ وينظر: تفسير السمرقندي٣/٤٦٣و المحرر الوجيز ٥/٣٥٣، ، تفسير النسفي ٤/٢٨٢، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/٤٨٢

٤٤- زاد المسير ٨/٣٤٢.

٤٥- تفسير السمعاني ٦/٢٩، تفسير البغوي ٤/٣٨٣.

٤٦- تفسير الواحدي ٢/١١٢٤، وتفسير الجلالين ١/٧٦٠.

٤٧-كتاب الكشف ٢/.٢٩٧

٤٨- نفسه.

٤٩- لسان العرب٤/١٠٠.

٥٠- نفسه.

٥١- تفسير أبي السعود ٤٢/٦.

٥٢- روح المعاني ٢٦٤/١٦.

٥٣- تفسير البغوي ٢٣١/٣.

٥٤- فتح القدير ٣٨٧/٣.

٥٥- تفسير البيضاوي ٧١/١٤

٥٦- التكرار في القرآن الكريم، سليم الجصاني، (بحث عبر الانترنيت)، وينظر: شرح المقدمة الجزرية، ص.٢٨٧

٥٧- سر صناعة الإعراب، (خ، ١٩٥/١)، (ش، ٢١٧/١)، (ع، ٢٤١/١).

٥٨- دروس في النظام الصوتي للغة العربية/.٤٥

٥٩- دقائق التصريف / ٢٨٨، في حين قيل: (الشين تدل على الكثافة ودلالة العين على العلو، والخاء على التفكير والكثرة، ولما كان الخشوع شيئا قلبيا فكثافته وعلو شأنه وكثرته يفيض على الجوارح)، الحروف وميزاتها، بحث عبر الانترنيت.

٦٠- روائع البيان لمعاني القرآن، ص.٥٧٨

٦١- تفسير الواحدي ١١٩٦/٢. المحرر الوجيز٥/٤٧٢،

٦٢- زاد المسير ٩٥/٩، تفسير النسفي ٤/.٣٣٣

٦٣- تفسير البغوي ٤/.٣٨٣

٦٤- تفسير السعدي ٧٥٠/١ وللمزيد ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٣٠/١، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/.٤٠٣

٦٥- المحرر الوجيز ٥/.٤٧٢

٦٦- تفسير البيضاوي ٤/.١٠٦

٦٧- تفسير ابن كثير ٣/.١٩٤

٦٨- أصوات الأحرف ودلالتها قائمة فيها، (بحث عبر الانترنيت)

٦٩- نفسه.

٧٠- تفسير أبي السعود ٨/.١٥

٧١- القول للنابغة: ينظر: ديوانه/٧٩، و لسان العرب٤/.١٠٠

٧٢- المحكم والمحيط الأعظم ١/.١٣٠

٧٣- البحر المحيط ٧/٤٧٧-.٤٧٨

٧٤- روائع البيان / ٥٨٢.

٧٥- البيت لجرير، ديوانه/ ٢٧٠.

٧٦- تفسير الطبري ٢٨/.٥٣

٧٧-الخشوع والتصدع في الجبال، أ.د خلاف الغالبي(بحث عبر الانترنيت)

٧٨- نفسه

٧٩- نفسه

٨٠- لسان العرب٤/.١٠٠

٨١-الخشوع والتصدع في الجبال (بحث عبر الانترنيت)

٨٢-المفردات في غريب القرآن / .٣٢٢

٨٣- صحيح البخاري ١/ ٣، وسنن أبي داود ٢/٢٦٢ .

٨٤- تفسير أبي السعود ٦/١٢٣.، تفسير الواحدي ٢/.٧٤٣

٨٥- سبق تخريجه.

٨٦- مسند الإمام أحمد٤/١٣٠، سنن الترمذي ٥/.١٤٨

٨٧-فتح القدير ٤/.٢٨٢

٨٨- تفسير السمرقندي ٣/٥٧، الكشاف ٣/٥٤٦، ، تفسير النسفي ٣/٣٠٥وروح المعاني ٢١/٢٢،

٨٩- دليل زيادة الخشوع قوله تعالى: چ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ چ الإسراء: ١٠٩.

٩٠- من أظهر الأدلة على عناية القرآن بالتفكير(بحث عبر الأنترنيت)

٩١- المحرر الوجيز ١/٥٥٩، وروح المعاني ٤/.١٧٤

٩٢-كلمات ومرادفاتها، بحث عبر الانترنيت.

٩٣- المعجم الوسيط ١/.١٣٦

٩٤- مفردات ألفاظ القرآن الكريم/ .٢٨٣

٩٥- تاج العروس٢/.٥٠٧

٩٦- كلمات ومرادفاتها، بحث عبر الانترنيت.

٩٧- كيف تتلذذ بالصلاة، بحث عبر الانترنيت

٩٨- الأنبياء الآية السالفة، والأولياء قوله تعالى: السالفة والأولياء قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ يونس: .٦٢

٩٩- تفسير النسفي ٤/.٢٨١

١٠٠- تفسير القرطبي ١٨/٢٩٧. وفتح القدير ٥/.٢٩٥

١٠١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٥/.٢١٣

١٠٢- تفسير البيضاوي ٥/.١٣٤

١٠٣- تفسير السمعاني٥/٨٤، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٤/.٢٣

١٠٤- لسان العرب، مادة خشع، ١٠٠/٤، والمعجم الوسيط ٥٠٧./٢

١٠٥- ينظر: لسان العرب.، مادة(خشع)، ١٠٠/٤. وهو ما ذهب إليه كثير من المفسرين، ينظر:

تهذيب الأسماء ٨٦/٣، تفسير أبي السعود ٩٨/١وفتح القدير ٢٧٩/١،

١٠٦- الفروق اللغوية ص٢٠٦، وللمزيد: الإعجاز البياني للقرآن .٢٢٩

١٠٧- كيف تتلذذ بالصلاة، بحث عبر الانترنيت.

١٠٨- مفردات ألفاظ القرآن ص .٢٨٣

١٠٩- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ص.٢٨٧

١١٠- فتح القدير ٧٩./١

١١١- كلمات ومرادفاتها، بحث عبر الانترنيت.

١١٢- روائع البيان/.٢٢٤

١١٣- المفردات في غريب القرآن/ ١٤١

١١٤- لسان العرب١٢٩/١٥

١١٥- الحديث لـ(علي بن أبي طالب) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٦٣٤/٥

١١٦- لسان العرب١٢٩/١٥

١١٧- إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٠٢/٥

١١٨- تعاور المفردات دلاليا في القرآن الكريم، بحث عبر الانترنيت.

١١٩- المفردات في غريب القرآن/ .٥٢٣

١٢٠- لسان العرب١٠٠./٤

١٢١- القاموس المحيط/.٩٢١

١٢٢- تهذيب الأسماء٣/.٨٦

١٢٣- البيت لجرير، ديوانه/٦٣ .

١٢٤- البيت للبيد، ديوانه/٣٥١، والبيت في الديوان(بذلن بعد النفش الوجيفا وبعد طول الخبرة الصريفا)

١٢٥- ينظر: تفسير البغوي ج٤/٤٤٣، و تفسير القرطبي ج١٩/ص١٩٦

١٢٦- روح المعاني ج٣٠/٢٦.

١٢٧- ينظر: خلق الإنسان – للزجاج/٤٢، وتفسير النسفي ((مدارك التنزيل وحقائق التأويل)) ٤/٣٥٦، وتفسير أبي السعود ٩/١٩٩، ودقائق الفروق اللغوية/ ١٠٢- ١٠٣.

١٢٨-المفردات في غريب القرآن ص.١٤٨

١٢٩- تفسير ابن كثير ٨/٣٨٤، روح المعاني ٢٢/.٣٨٣

١٣٠- روح المعاني ٢٢/.٣٨٣

١٣١- ينظر: لسان العرب ٣/١٣٩ .

١٣٢- دقائق الفروق اللغوية / ١٠٨ .

١٣٣- الكشاف٤ /٥٠٨ وزاد المسير ٨/٢٢٤تفسير البيضاوي ٥/٣٢٣، ، أضواء البيان ٨/٦٢،

١٣٤-- تفسير النسفي ٤/٢٣٤وتفسير أبي السعود٨/٢٣٢، ، روح المعاني ٢٨/.٦١

١٣٥ فتح القدير ٥/.٢٠٧

١٣٦- تفسير السعدي١/.٨٥٣

١٣٧- التفسير الكبير ٢١/.٥٨

١٣٨-تفسير أبي السعود٩/٣٥. روح المعاني ٢٩/.٦٦

١٣٩- فتح القدير٥/.٢٩٥

١٤٠- تفسير ابن كثير ٤/.٤٢٣

١٤١- تفسير البغوي ٣/.٢٣١

١٤٢- روح المعاني ١٦/.٢٦٤

١٤٣- المحرر الوجيز ٥/.١٨

١٤٤- تفسير النسفي ٤/٩١. وينظر: تفسير أبي السعود ٨/.١٥

١٤٥- تفسير ابن كثير ٤/.٤٣٤

١٤٦- الدر المنثور ٨/.١٢١

١٤٧- الكشاف ٤/.٤٩٦

١٤٨- تفسير البيضاوي ٥/.٣٢٣

١٤٩- زاد المسير ٩/١٨، وذهب أغلب المفسرين إلى أنها تحمل معنى الكناية ينظر: تفسير الصنعاني ٣/ ٣٤٥ وتفسير الواحدي ٢/١١٧٠، وتفسير السمعاني ٦/١٤٧، وتفسير البغوي ٤/٤٤٣، وتفسير النسفي ٤/٣١٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٧٦، وتفسير الجلالين ١/.٧٨٩

١٥٠- روح المعاني ٣/.٢٦

١٥١- تفسير الجلالين١/.٧٦٧

١٥٢- تفسير الواحدي٢/١١٣٤.، تفسير النسفي ٤/.٢٨١

١٥٤- تفسيره ٤/.١٦٤

١٥٥- المفردات في غريب القرآن ص١٥٤.

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ت٦٥هـ)، د.عائشة الرحمن(بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

٣- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم(دراسة تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، د.عبد الحميد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١. ٢٠٠٨م.

٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش، دار ابن كثير، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط٩، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

٥- التبيان في تفسير غريب القرآن: أحمد بن محمد بن الهائم المصري(ت٨١٥هـ)تح: العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ .

٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوي(ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٧- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي(ت٧٤١هـ)، ط٤، دار الكتاب العربي، لبنان ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨- تعاور المفردات دلاليا في القرآن الكريم، د.عبد العزيز جاب الله، جامعة كفر الشيخ.(بحث عبر الانترنيت: **www: alfaseeh.net**)

٩- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي(٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠١م

١٠- تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، (د.ت)

١١- تفسير البيضاوي، البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

١٢- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد(٨٦٤هـ)، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي(ت٩١١هـ)، ط١، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

١٣- تفسير السعدي(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن ناصر السعدي(ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٤- تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي(ت٩٨٢هـ)، ٢٢دار التراث العربي، بيروت، (د، ت).

١٥- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث(ت٣٧٥هـ)، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

١٦- تفسير السمعاني(تفسير القرآن)، أبو المظفر السمعاني(ت٤٨٩هـ)، طبعة دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٧- تفسير الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت٢١١هـ)، تح: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨- تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري(ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٩- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة، (د.ت)

٢٠- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦ وقيل٦٠٤هـ)، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

٢١- تفسير ابن كثير، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

٢٢- تفسير النسفي ((مدارك التنزيل وحقائق التأويل))، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ((ت ٧١٠هـ)) –(د.ت) .

٢٣- تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داووي، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٤- التكرار في القران الكريم، سليم الجصاني، (بحث عبر الانترنيت:

www: annabaa.orj

٢٥- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزابادي(ت٧١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٢٦- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)

٢٧- الخشوع في القران، نسيم بسام(إحصاء وتعليق بسيط)، مقالات التأصيل، عبر الانترنيت: **(www: ahl.alauran.com)**

٢٨- الخشوع والتصدع في الجبال، أ.د.خلاف الغالبي، موقع: معاني علمية وإيحاءات قرآنية، ٢٠٠٧م(عبر الانترنيت: **http: 55a.net**)

٢٩- خلق الإنسان: أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، (في ضمن رسائل في اللغة) تح: د. إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م .

٣٠- دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د.عبد الرحمن إبراهيم الفوزان، السعودية، ١٤٢٨هـ.

٣١- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت، لبنان.ط١، ٢٠٠٦م.

٣٢- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القران الكريم، د.نافع علوان بهلول.ديوان الوقف السني، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة(٥٦)، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٣- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٤- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: كرم البستاني، دار صادر – بيروت ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

٣٥- روائع البيان لمعاني القرآن، أيمن عبد العزيز، دار الأرقم، عمان مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٣٧- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت٥٩٧هـ)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣٨- سر صناعة الأعراب، ابن جني(ت٣٩٢هـ)، تح: محمد حسن محمد، وأحمد رشدي شحاته، م١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٣٩- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣

٤٠- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشر الأزدي السجستاني(ت٢٧٥هـ)، تح: محمد محيي الدين، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

٤١- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح: إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

٤٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قدم له: أحمد سليم الحمصي، ومحمد أحمد قاسم منشورات دار جروس، طرابلس، لبنان، (د.ت)

٤٣- شرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، بمعهد الشاطبي، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٤- الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٢١هـ)، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤٥- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تح: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ

٤٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني(ت١٢٥٥هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٤٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزابادي(ت٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي.دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)

٤٩- كلمات ومرادفاتها والاختلاف فيها في الاستعمال القرآني، منتديات دليلك للحياة الزوجية.(عبر الانترنيت: www: afaqattiseey.com)

٥٠- لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت٧١١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، (د.ت)

٥١- لمسات بيانية، الحلقة(٥١) أسلاميات، د.فاضل السامرائي، (عبر الانترنيت www: islamiyyat.com)[غير موجودة في كتابه].

٥٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤١هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٨م.

٥٤- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة(ت٤٥٨هـ)، تح: جمع من المحققين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م

٥٥- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت

٥٦- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت- ط١ - ١٤٠٥ - ١٩٨٤، .

٥٧- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(ت٢٣٥هـ)، تحـ: كمال يوسف الحوت: مكتبة الرشد – الرياض- ط١ - ١٤٠٩

٥٨- معاني الفعل الماضي والمضارع في القران الكريم، د.حامد عبد القادر، مجلة مجمع اللغة العربية،

٥٩- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م.

٦٠- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ((ت ٤٢٥هـ))، تحقيق: هفوان عدنان وادي، منشورات طليعة اتنون، ط٢، ١٣٣٧هـ.

٦١- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ((ت ٤٢٥هـ)) الكتاب السابق نفسه طبعة/١، ١٤٠٤هـ .

٦٢- من أظهر الأدلة على عناية القران الكريم بالتفكير، الجمعية الخيرية، عبر الانترنيت: (www: camalorj)

٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناجي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي، ، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.